

## الغزو الصليبي للقدس الجذور والتاريخ

م.م ابتسام رسول حسين  
مركز إحياء التراث العلمي العربي  
جامعة بغداد

### المقدمة

إن الحديث عن الغزو الصليبي لبيت المقدس مهما اختلف شكل أو نوع الأسلوب في طرحه أو في ضيق أو وسعه تفاصيله فهو يحضر في الفترة ما بين ( 1095\_ 1291 ) م ، وهي تقرب من أمانتي سنة ، فقد بدأ منذ إن جرب الأوربيون حظهم و احتلوها ، بعد سباتٍ دام أربعمائة وخمس وخمسون سنة ، أي منذ ان فتحها المسلمون وحرروها سنة 14 هـ ، وفي زمن الخليفة الراشد عمر بن الخطاب ( رض ) فكانت النتيجة هي أنهم بعد ما احتلوا القدس ودخلوها سنة ( 1095 ) م ؛ اجبروا على الخروج منها بالقوة وعودتها إلى حوزة المسلمين ثانية في سنة ( 583 هـ / 1187م ) بقيادة السلطان الناصر صلاح الدين الأيوبي.

" و النظرة الحديثة للحروب الصليبية ترى إن فترة الحروب الصليبية ما هي سوى حلقة الصراع الناشب بين الشرق و الغرب من أيام التاريخ الأولى امتداده في مطلع الألف الأول قبل الميلاد. واستمرت الحال هذه إلى أن... "انبثق بعدها فجر الإسلام في سنة 630م ، ثم دحرت الكتائب المحمدية جيوش الإمبراطور بين القادسية و الرومانية... " (1)

" وقد انتهت ذبول الحروب الصليبية في القرن الخامس عشر تقريباً لتفصح عن نتائج غريبة متناقضة بالنسبة للشرق العربي و الغرب الأوربي " (2).  
وكان الموقف بين الشرق العربي و أوروبا أشبه ما يكون بالمد و الجزر، فعندما كان العرب موحدي الصفوف أقوىاء تنحسر عنهم الاعتداءات الأوربية و تسعى دول أوروبا لكسب ود الدول العربية الموحدة القوية و تحاول بناء علاقات صداقة مع هذه الدول للحفاظ على مصالحها.

إلا أن الموقف لا يلبث إن ينقلب بدافع من المطامع الكامنة في نفوس الأوربيين العدائية التي تتصف بها حالما يدب الضعف في الدول العربية (3).  
و عندما حرر المسلمون القدس كان تصورهم و لا يزال دفاعاً عن فحوى الدين الإسلامي في حين إن في الإسلام جاء رحمة للعالمين فقد قال سبحانه و تعالى " وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين " .

ويعد يوحنا الدمشقي ، ممد الجادة للمستشرقين المعروفين بتحملهم على الإسلام فأكثر ما يزعونه و يذكرونه هو ما كان قد قاله و دونه قبلهم بما يزيد عن ألف عام. وجرأة يوحنا هذا على الإسلام مع قربه من الخلفاء و اشتغاله موظفاً عندهم من دلائل تسامح المسلمين و عدم اهتمامهم بما يقال عنهم و إن كان غشاً.

وقد نسب (يوحنا بن نبكاية) انتصار المسلمين إلى إرادة الله وقضائه وقدره، فقد أراد الله إن يرغم انف المملكة المتغترسة الظالمة العاصية لأمره، بأن سلب عليها قوماً " حفاة أكثرهم أشباه عراة لا يملكون سلاحاً يقاتلون و لا قوة " ، اجتاحوا الإمبراطورية و تغلبوا على أقوى محاربي العالم في أيامهم ، و لم يكن لينتصر (أبناء هاجر) و لا قدرة قادر و أمر من الله<sup>(4)</sup> .

و من يقرأ كلمات ( يوحنا الدمشقي ) يجد فيها المديح الكبير للمسلمين في مبادئهم ، و إن كان قصده غير ذلك لكن قوله الحقيقة عندما نسب انتصار المسلمين أي أصحاب الدين الجديد إلى ( إرادة الله ، قضائه ، قدره ) أي أنهم على حق ، لأنهم مع الله لذلك فالله معهم فكان نصرهم هو نصر الله ، ووصفه إياهم ( صفات أشباه عراة لا يملكون سلاحاً يقاتلون و لا قوة) ، لين ، ذلك ادني عيب و إنما العكس من ذلك فهو مدح لا يضاهيه مدح من حيث الفارق النسبي الكبير بينهم وبين من هم مدججين بالسلاح وقوة الأجسام ولباسهم من افخر الثياب لكن ليس منهم فائدة ! لماذا ؟ لأنهم على باطل ، كما بين يوحنا نفسه حين قال :

فقد أراد الله إن يرغم انف الإمبراطورية المتغترسة الظالمة العاصية لأمره أي إنهم خرجوا وانحرفوا عما جاء في كتابهم ، ويذكر ان تعداد الجيوش الصليبية في معركة مؤتة قد وصل إلى مئتي ألف مقاتل في حين كان عدد المسلمين لا يزيد على ثلاثة إلف مقاتل عربي .

والذي يبدو إن استرجاع المسلمين للقدس سنة 1187م على يد القائد العربي المسلم السلطان الناصر صلاح الدين الأيوبي كان بمثابة تأكيد لما في ذاكرة الأوربيين عند تحرير المسلمين القدس سنة 14هـ ، و أما ما جرى بعد ذلك التاريخ من حروب صليبية انه كان عليهم تغيير أرائهم .

## المبحث الأول

### أسباب الغزو الصليبي للقدس

#### أسباب أوربية

أ\_ ( ما الذي شغل الناس في الشرق والغرب أمداً طويلاً، أنها الحروب الصليبية ورقت بأرقام عديدة تبدأ أولها في سنة 1095م والهدف المعروف هو استلاب بيت المقدس من أيدي المسلمين وتهيئة جو خالص للحجاج النصارى ، يؤمنهم في أداء فريضة الحج إلى الأماكن المقدسة التي تنطوي على ذكريات عزيزة على أنفس جميع المسيحيين رغم تباين أجناسهم وأوطانهم وألسنتهم )<sup>(5)</sup>.

ب- وانتشرت الأخبار في إرجاء أوربا النصرانية وشعر كبار رجال الكنسية والمحاكم ، إن الخطر الذي زال عن النصرانية بانتهاء الدولة الإسلامية السريع في اسبانيا ، قد حل محله الآن تهديد جديد مخيف في الشرق مبعثه الأتراك وكانت الحروب الصليبية جواب أوربا النصرانية عن هذا التهديد<sup>(6)</sup> .

ج - كما إن الاعتقاد ساد يوم ذاك بان نهاية العالم قد دنت ، وان المسيح سيظهر للمؤمنين به على رأس الألف من السنين التي غيرت<sup>(7)</sup> .

د - وهناك رأي آخر رابع اخذ به الباحثين و رأي في الحروب الصليبية الوسيلة التي تحايل بها الغرب للخروج من أوضاع العصور الوسطى ، و الانطلاق إلى حياة أوسع أفقا ذلك إن الغرس ظلوا طوال العصور الوسطى ، يعيشون داخل دائرة معينة حددت افقها الكنيسة، وكان كل من يحاول الخروج عن هذه الدائرة يتعرض لغضب الكنيسة و طرده من رحمتها و بأس المصير.

وهكذا جاءت بشائر النهضة الأوربية الوسيطة في القرن الحادي عشر مصحوبة برغبة الناس في لتخلص من القيود المفروضة عليهم .

فقد كانت الحروب الصليبية خير فرصة اتجهت للغربيين للجميع من الخلاص في الدنيا، و الثواب في الآخرة<sup>(8)</sup> .

### أسباب عربية

أ - يكاد الإجماع بين المؤرخين يعتقد على إن زوار الأماكن المقدسة و كنيسة القيامة من أهل الشرق و الغرب على السواء \_ لم يكونوا يصادقون شيئاً من العنف أو الإرهاب أو النشوة من جانب المسلمين الأوائل، على أنهم وجدوا زمن ضعف الحكام المسلمين و تفكك الخلافة ، و دخول جماعات جديدة في الدين ، حملها تحمسها له أن تسلك سبيل العنف<sup>(9)</sup> .

ب - فقد كانت الاضطرابات تسود ديار الإسلام ، فمصر كانت مهمتها للمجاعة و الثورات و الانقلابات و عدم الاستقرار . و بلاد العراق و الخلافة الإسلامية ما كان شملها نفوذ الأتراك السلاجقة حتى عاد إلى ما كان عليه زمان بني بويه من خلافات، و البلاد الشامية كانت مسرحاً لحروب بين الفاطميين و السلاجقة ، و ما بين السلاجقة أنفسهم .

و لم تكن حال المغرب الإسلامي أحسن حظاً من المشرق فتونس عمته الفوضى و الاضطرابات و نالهم التقييم و فقدان لوحدة السياسية و صقيلة انتهت فيها آخر مقاومة إسلامية و استولى عليها النورمانيون سنة (484هـ-1091م) .

( أما الأندلس فقد بدأ فيها التراجع و رجحان كفة النصارى الذين اخذوا يحتلون المدن الإسلامية الواحدة بعد الأخرى وهكذا كان العالم الإسلامي في حال مغرية على مهاجمته و اكتساحه )

ج - و عند بحث موقف العالم الإسلامي لابد من التطرق إلى موقف الفاطميين في مصر اذ يذكر الكثير من المؤرخين المسلمين القدامى و منهم المحدثين إن من أسباب هجوم الصليبيين على الشرق الإسلامي مراسلة الفاطميين لأمم الفرنج و تشجيعهم على مهاجمة السلاجقة لأن هؤلاء الآخرين تغلبوا على الفاطميين و انتزعوا منهم البلاد الشامية زيادة على المذهبية بين أهل السنة و الشيعة و كانت على أشدها في تلك الأزمنة.

## المبحث الثاني 1- البداية

انتشرت الديانة النصرانية في قرونها الأولى في بلدان الإمبراطورية الرومانية القديمة المحيطة بالبحر الأبيض المتوسط في أوروبا الغربية ثم أخذ توسعها بالتباطؤ. وكانت الأقوام الساكنة على الحدود الشمالية للإمبراطورية القديمة بطاءً في تقبل الدين الجديد و قبل أن يتم تنصرهم هزمهم البرابرة القادمين من الشرق و أقصى الشمال.

وزحف البرابرة جنوباً متوغلين في الأراضي الرومانية القديمة فزال الأمن و الرخاء و سادت الفوضى و الخصومات و في هذه الظروف القلقة تناقص نفوذ الكنيسة و أخذت المناطق النصرانية بالتقلص من ناحية الجنوب و حين كانت الكنيسة في حضيض ضعفها تعرضت لتحد من خصمهم جديد في الجنوب الشرقي (10).

إن فترة الحروب الصليبية لم تكن سوى حلقة من سلسلة الصراع الناشب بين الشرق و الغرب منذ أيام لتأريخ الأولى عندما امتد في مطلع الألف الأول قبل الميلاد، فالنفوذ الفينيقي و الأراضي من و الأرامي من الشرق فاجتاح العالم المعروف و تلا هذا النفوذ في القرن الخامس قبل الميلاد النفوذ الفارسي الذي وصل إلى بلاد اليونان ثم رجحت كفة الغرب عندما قاد الأسكندر المقدوني اليونانيين سنة ( 332ق.م) ووصل بجيوشه إلى قلب الهند.

و قلت ذلك موجة غريبة جديدة مؤلفة من محافل الرومان التي وصلت إلى بلاد فارس و بدأ الصراع بين الرومان و الفرس، استغرق زهاء سبعة قرون، انبثق بعدها فجر الإسلام (11).

اشد المؤلف: (أنتوني ويست) إلى إن الكنيسة تعرضت لتحديٍّ من خصم جديد في الجنوب الشرقي ، و لم يشر إلى النفوذ الفارسي الذي استغرق صراعه معه زهاء سبعة قرون! ألم يحد نفوذهم و صراعهم من نفوذ الكنيسة؟

وعندما جاء هذا التحدي الجديد من الجنوب الشرقي كما يقول، لكن الصحيح ليس بتحدٍ للفرس و لا للكنيسة ، و إنما هذا التحدي الجديد هو تحدٍ لكل ما هو باطل و مزيف فالديانة المسيحية أو الأصح الدين الذي جاء به النبي عيسى عليه السلام)، تحول إلى اسم آخر و هو النصرانية نسبة إلى الناصرة، (سموا نصارى باسم القرية التي نزل فيها المسيح و هي ناصرة من ارض الخليل) (12)

و عن الثنوية و مجيئهم مع ذكر الطبقة الثانية من ملوك الروم و هي الممتصرة و تأريخهم و إعدادهم و ما كان من الكوائن و الأحداث العظام الديانة و الملوكية في أيامهم ، و أول ملوك هذه الطبقة قسطنطين بن قسطنس يعرف ، بامه هيلاني و إليها ينسب ، ملك اثنين و ثلاثين سنة و ثلاثة أشهر و هو الذي اظهر دين النصرانية و حارب عليها حتى قبلت و انتشرت في البلاد إلى هذه الغاية.

و ما ذهب إليه النصارى ان السبب ذلك في ذلك ظهور صليب له نوري في السماء في نومه في حال حربه مع ملك برجان و انه قيل استنصر به على عدوك تنصر عليه... (13)

وعن المرقونية أصحاب مرقيون ، و هم قبل الديصانية ، و هم طائفة من النصارى ، اقرب من المانوية و الديصانية .

و الماهانية طائفة من المرقونية يخالفوهم في شيء و يوافقوهم في شيء (14) .  
وقول أصحاب المانوية: (انه الغار قليط الذي وعد به المسيح و ما ذكر ماشي من ذلك في الجبل و في كتابة المترجم بالشاير فان و في كتابه سفر الأسفار...) (15)  
أين هو الدين المسيحي ؟ و ما تأثيره على المجتمع الأوربي آنذاك؟ فهل أن الدين المسيحي أمرهم بأن يكون المجتمع ثلاث طبقات؟

( أولاها: رجال الدين ، وثانيها: المحاربون من النبلاء و الفرسان و الثالثة: الفلاحون و هم عامة الشعب و جلمهم من الاقنان و رقيق الأرض.) (16)

أهذه هي السياسة في المجتمع الأوربي الذي من المفروض في اوج تقدمها و تحديها بجانب الإسلام و مبادئه و التطور الذي حصل فيه و هي مسؤولية القس و الرهبان ، أن يكونوا في مستوى أعلى من ذلك المستوى الذي كانوا عليه، على الأقل غيراً من الإسلام و المسلمين، أو إذا كانوا قد تطوروا بتأثير الإسلام منذ فجره إلى وقت بداية الحروب الصليبية و هذا مستواهم الاجتماعي و السياسي إذن كيف كانوا قبل فجر الإسلام.

## 2- الحكاية

فعندما جاء الإسلام منفذاً للبشرية من الواقع الفاسد إلى الحرية و الاستقلال و العدل و على يد من تأهل له، و استوعبه فكراً و عقيدة متوجهين لنشره كما أمرهم الله فكان أن... تحركت الكتائب المحمدية جيوش الإمبراطوريين الفارسية و اليرمانية و امتدت أجنحة ديار الإسلام من الصين إلى سواحل المحيط الأطلسي و من ثم عبر المسلمون البحر إلى القارة الأوربية حيث أقاموا دولة إسلامية في الأندلس و سيطروا على جزيرة سردينية و صقلية) (17)

( فان قوى الإسلام التي خرجت من قلب الجزيرة... اندفعت في كل جهة نستطيع الوصول إليها بطريق البر ففي الشمال اكتسحت الشام و تقدمت إلى الأناضول حيث هددت القسطنطينية، و في الشرق فتحت العراق و فارس و القسم الأكبر من بلاد الأفغان و عبرت نهر جيحون... و في الغرب استولت على مصر و سواحل شمال أفريقيا بكاملها حتى وصلت إلى شاطئ الأطلنطي ثم انطلقت شمالاً عند جبل طارق فاكتسحت اسبانيا...) (18)

## 3\_ النكاية

و عندما دبّ الضعف في الخلافة العباسية و في الفترة ما قبل البويهين و في فترة البويهين من سنة (334-448) هـ، و التراجع الذي بدا في الدولة العربية الإسلامية في الأندلس

استغل الأوربيين ذلك الضعف في التحرك فقد تمكنوا من تنصير بولندا و هنكارييا والدا نمارك والنرويج وانتقلوا بذلك من موقع الدفاع إلى موقع الهجوم وفي الشمال وكما يقول: أنتوني ويست في ص 32، اشتبك اشتبك الملوك والنصارى مع الفرنسيين من سكنه سواحل البلطيق وفي الجنوب اخذ الفرنسيين والأسبان التضييق على المسلمين لإخراجهم من اسبانيا وحين أوشكت الأمور إن تتبدل، أصابت النصرانية نكسة مروعة.

قامت سلطة السلاجقة تحت قيادة طغرل بيك وأخذت على عاتقها حمل راية الإسلام بعد إن المنتقوة في أوائل القرن الرابع الهجري... وبعد طرد البويهيين من بغداد عاصمة الخلافة فدخلوها عام 447 هجرية ... وضع طغرل بيك قائد السلاجقة نفسه في حزمة الخليفة وقد دفعه ذلك روح الإسلام الذي كان متغلغلاً في نفسه. وقد حصل أول تصادم لجيش طغرل بيك مع الجيوش البيزنطية عام 445 هجرية 1053 م عندما قرر هذا القائد السلجوقي الوقوف بوجه الغزاة وخاصة البيزنطيين الذين اخذوا يشنون الغارات على البلاد الإسلامية... وبعد توالي الانتصارات على يده وبعد وفاته على يد ابنه

البارسلان ومن ثم ابن ألب ارسلان...<sup>(19)</sup>

وتقدم الأتراك مستفيدين من ذلك فاستولوا على مدن نصرانية كبيرة مثل إنطاكية ونيقة وقام احد السلاطين الأتراك في نيقية ولقب (سلطان الروم) وانتشرت الأخبار في أحياء أوربا النصرانية وشعر كبار رجال الكنيسة والحكام إن الخطر الذي زال عن النصرانية بانهياء الدولة الإسلامية السريع في اسبانيا قد حل محله الآن تهديد جديد فكيف في الشرق مبعثه الأتراك وكانت الحروب الصليبية جواب أوربا النصرانية عن هذا التهديد<sup>(20)</sup>.

وأصغى البابا إلى ما وراء بطرس<sup>(21)</sup> يتأمل فقد جاءه منذ عهد ليس ببعيد سفراء من قيصر الإمبراطورية و قد أخبروه إن الأتراك، كان لهم من القوة ما يجعل البيزنطيين عاجزين عن مقاتلتهم بمفردهم. وقد طلب إمبراطورهم اليكسوس مساعدة بقية العالم البصراني في صد المسلمين عن ديار النصارى.

وكان البابا قبل انتخابه لكرسي البابوية رأساً للدير العظيم ياكولوني بفرنسه وقد قام رهبان كولوني منذ أكثر من مائة عام يوو رئيس في إقناع الفرسان الفرنسيين بالامتناع عن مقاتلة بعضهم البعض وجثهم للرحيل جنوباً لمساعدة النصارى في اسبانيا... اقتنعت استغاثة الإمبراطور ورواية بطرس... بأنه أن الأوان لمهاجمة المسلمين في الشرق، ولذا أعطى بطرس تفويضاً بابوياً بالدعوة إلى حرب مقدسة وتوجه البابا عن ذلك في مؤتمر كيد للكرادلة و رؤساء الأساقفة.

دحر البابا بطريقة إلى كليرومونت في إقليم يوفانس بفرنسة و اجتمع هنا بر( رامبو دو تولوز) الذي كثيراً ما قاد كتلاً من المحاربين إلى اسبانيا لمحاربة المسلمين) وبعد كل تلك الدعوات و الترويج إلى الحرب من قبل البابوات تدفقت الحشود متوجهة إلى القدس بشكل حملات منذ أن دعت البابويه سنة 1095 بوجوب انتزاع القدس من

أيدي المسلمين لتسهيل زيارة الحجاج الأوربيين، فكان تحشدهم الكبير أدى إلى تمكنهم من الدخول إلى الرها وبذلك كان أول مكسب صليبي ضد المسلمين ، و الرها لا تبعد كثيراً عن الشرق على وادي الفرات بمساعدة بلدوين الذي انحرف عن طريقه بمجرد أن طلب من ذلك مستصحباً معه ثمانين فارساً و بضع مئات من الأسلحة. وكان ذلك عظيماً على المسلمين و السلاجقة على الأخص و كان من المتوقع ان تتوحد الجهود و تتكاتف الأيدي.

وبعدها وصل الصليبيون إلى انطاكية. و كانت إنطاكية محيطة بالأسوار لمسافات كبيرة و يحرسها أربعمائة برج ، وقد تم محاصرة إنطاكية زهاء سبعة أشهر و تمكن الجيش الصليبي من إنزال الهزيمة بالمسلمين بعد تلقي المساعدات عن طريق البحر، و بعدها توجه الصليبيون إلى بيت المقدس و تزعم هذا التوجه نحو رايمودن املاً كسب التاج الثالث.

و عند وصول الصليبيون إلى القدس بعد تسلق الجبل الشارق و رأوا بأعينهم ارض الميعاد التي تقبض لبناً و عسلاً و عندما وصل الصليبيون تحت الأسوار عرفوا إن المسلمين قد ردموا الآبار فمكث الصليبيون حتى تمكنوا و عند حلول الظلام في يوم الانتصار و اندفعوا طوال الليل في البحث عن كل رجل و امرأة و طفل ليزجؤهم، فقتلوا سبعين ألفاً و لم يفد المسلمين تسلاهم و لا التجاؤهم إلى المسجد الأقصى . و بذلك انتهت الحملة الصليبية الأولى التي تبدأ في 1095 و انتهت بدخول الصليبيين و الاستيلاء عليها في سنة 1099 م .

#### 4\_ الشكاية (الإيقاظ)

بعد سقوط القدس بيد الصليبيين سنة 1099م و ما جرى على أيديهم من ذبح للرجال و النساء و الأطفال و بدون رحمة و حتى لجئوا إلى المساجد و الكنائس ، فجرت هذه القضية المؤلمة في نفوس المسلمين فكانت شكواهم لرب العالمين الذي قرر نصرهم بعد الإفاقة و تجمع العالم الإسلامي، و كانت قد ظهرت المقاومة في البداية في شمال العراق لمتاخمتها إمارة الرها (اورنه) الصليبية مما جعلها محط أنظار الصليبيين الدائم للاستيلاء عليها وذلك لمنعتها و توسطها للطرق المؤدية إلى الموصل و حلب و كانت الفكرة هي ان أول رجل من سبعة رجال ابطال جاهدوا و بذلوا دمائهم رخيصة في سبيل إعلاء كلمة الله وراية الإسلام و كان هذا الرجل البطل هو شرف الدين مودود سنة 1110م ، وكان والياً على الموصل عندما اعلن الجهاد بموافقة الخليفة المستنصر بالله العباسي و السلطان السلجوقي محمد ابن ملك شاه .وقد حاصر مودود إمارة الرها سنة 1111م و لم ينجح الحصار.

وبعد أن جهز الجيوش بقيادته سنة 505هـ- 1111م ولما لم يأت بنتيجة فذهب لمهاجمة الصليبيين في الشام وبذلك انتقل المسلمون من موقع الدفاع إلى موقع الهجوم، وبعد ذلك تمكن هو و بمساعدة صاحب دمشق أن يهزم جيش بلدوين ، وقد اغتيل البطل مودود من قبل رجل و هو من الباطنية عند خروجه من الصلاة.

واستلم الراية من بعده احد حلفاءه وهو نجم الدين الملقب ابن غازي ، و من ثم نذر الدين بيك، و بعده صونغور (سفر) اليرسقي، و من ثم عماد الدين زنكي ، و السلطان نور الدين محمود ، فقد جاهد الجميع في سبيل الدين، و قتل أكثرهم على يد عناصر من الباطنية وهي فرق هدامة منشأها الإمبراطوريتين الرومانية و الفارسية قبل الإسلام وجاءت ألينا قبل وبعد الإسلام .

ولقد لعب هؤلاء دوراً مهماً في المنطقة بأسرها وخاصة بيت المقدس و المدن المهمة التي لها علاقة وثيقة بها و التي تحز في صدور الصليبيين مثل إنطاكية و الرها و حلب و الموصل و دمشق و غيرها . و رغم الاغتيالات التي شملت أكثرهم و المدبرة من قبل الباطنية و الموجهة من قبل الصليبيين الذين تشربت في عقولهم و دماءهم الباطنية عن أب وجد و منذ القدم فقد بطنوا الديانة اليهودية قبل الميلاد و المسيحية بعده .

و قد استمرت حملات الإفاقة من سنة (1110م) و إلى سنة 1174م التي فيها انتقل المجاهد العظيم السلطان نور الدين محمود إلى رحمة الله في دمشق عن عمر ناهز التسعة و الخمسين سنة بعد ان جاهد في سبيل الإسلام خير جهاد و بدأ انتقلت الراية إلى يد أمينة و قوية و هي يد الناصر صلاح الدين الأيوبي الذي نهض ليكمل ما بدأه أستاذه نور الدين و الذين سبقوه .

## 5- النهاية

وقبل أن يستلم الراية صلاح الدين ظهر نور الدين في ظروف تشبه ظروف العالم العربي الإسلامي الحالية ، فكان همه إنقاذ الوطن العربي الإسلامي لذا فكان إلزاما عليه إن يؤدي رسالتين وهي : التوحيد والتحرير و قد وفقه الله في الاثنين . فلقد أعاد نور الدين الرها بعد أن أخذها الصليبيون بعد وفاة عماد الدين ، و عاقب من خان المسلمين من ارض الرها فقتلهم عن آخرهم ، و خاض مع الصليبيين معركة ضارية في سنة 1149م في عين مرارة، و انتصر عليهم بعد هزيمة شفاء بجيش إمارة إنطاكية وقتل فيها أميرهم رايوندي بواتيه ، و في عام 1151م أكل تصفية إمارة الرها و أمر رجاله الاتصال بأنصاره في دمشق فدخلها في شهر محرم من سنة 44هـ ، وكان انضمام دمشق أعظم خطوة خطاها المسلمون من ميلاد حركة الإنقاذ و التحرير أيام شرق الدولة مودود .

وبعد سقوط دولة الفاطميين في مصر من نور الدين ضم جبهة مصر إلى جبهة الجهاد فقد خاض صراع عنيف بينه و بين الصليبيين استمر من سنة 1163م إلى سنة 1169م و انتهى بسيطرة نور الدين على مصر بمساعدة وزيريه شيركوه وأبن أخيه صلاح الدين الأيوبي .

أخذ موقف النصارى في مملكة بيت القدس بالتردي عاماً بعد عام بعد خيبة الحملة الصليبية الثانية. مات نور الدين و اعتقد الصليبيون فترة ما ان موته سيؤدي إلى تشتيت المسلمين وضعفهم إلا أن صلاح الدين الذي حل محله كان زعيماً أعظم منه .

وحرص بلدوين الرابع ملك بيت القدس وكان محارباً شجاعاً ثم توفي في وقت كانت المملكة بها أمس الحاجة إليه... وانتقل العرش إلى كاي دولوزينان... وكان مشهوراً عصبى المزاج وقليل المعرفة بقتال المسلمين.

(وقد أشار عليه كل الموجودون في بيت القدس إن سبيله الوحيد للثبات بوجه صلاح الدين هو اللجوء إلى التريث... فربما يسام إتباع صلاح الدين ويعودون إلى ديارهم، فكان الفرسان خبراء بأساليب المسلمين عارفين بصعوبة الحفاظ على الجيوش الإسلامية مجتمعة عندما لا يكون هناك سوى قتال يسير)<sup>(22)</sup>

لم يضع كاي لهم سمعاً وقال انه لا شيء يرغمه على التصرف بجبن وانه يعتقد إن الطريق لدر صلاح الدين هو البحث عنه وإرغامه على خوض معركة. وقاد كاي قواته صاعداً مع وادي الأردن طبرية عارضاً قواته في ديار المسلمين . وتراجع صلاح الدين أمامه مفسحاً الطريق له المجال للابتعاد عن معاقله ابعده فابعد. وأخيراً عندما تم لصلاح الدين سحب النصرى مسافة كافية، استدار بقواته داخلاً بينهم وبين ديارهم قاطعاً خط انسحابهم وحاصراً إياهم في وادٍ فاصل.

وكان كاي قد ورط نفسه في مأزق حرج وبصحبته كل غازي مملكته تقريباً و قد حمل معه صليب الصليوت الذي أخذه من كنيسة القيامة في بيت المقدس مستعملاً إياه راية حرب... و كانت هذه معركة حطين و نظر رجاله من التل المكسو بالأشواك الذي حصر فيه جيشهم ، و أشعل المسلمون النار في مطلع النهار بالأشواك المحيطة بجيش كاي.

إلا أن كاي و رجاله على الرغم من موقفهم اليائس قاتلوا طوال النهار و عندما استسلم آخر رجل منهم كان الإعياء... جعلهم يقفون على إقدامهم بصعوبة جعلتهم يعجزون عن تسليم سيوفهم للمنتصرين .

( و عندما انهارت مقاومتهم بكى صلاح الدين فرحاً فقد عرف ان قوة مملكة بيت المقدس قد دمرت و انه قد استرجع المدينة المقدسة)<sup>(23)</sup>

استمرت حروب الصليبيين و حملاتهم المعروفة، كانت الحملة الصليبية الثالثة بقيادة ريتشارد ملك انكلترا و فليب أغسطس ملك فرنسا ، و قد انقلبا إلى عدوين لدودين مستفيدين لخوض معركة ضارية بينهما و قد انظم الجيشان بعد وصولهما الديار المقدسة و حاصروا عكة و اخذ المسلمون بالرمي عليهم مقذوفاتهم و اشتعلت النيران فيهم و تراجع الفرنسيون و خاب هجومهم و في الوقت الذي كان فيه صلاح الدين الأيوبي<sup>(24)</sup> يجمع الفدية استغل الصليبيون و اخذوا إلى الراحة ، و أراد فيليب الذي أنهكه المرض و وضععته الخسائر العودة إلى بلاده ، و باءت هذه الحملة بالفشل.

(قرر ريتشارد أن يغامر آخر مرة قبل عودته إلى بلاده... و شعر ريتشارد إن هناك مجالاً لخداع صلاح الدين، تسليم بيت المقدس)<sup>(25)</sup>

المهم إن جميع الحملات الصليبية التي وصلت إلى القدس أو بقصد استعادة القدس من أيدي المسلمين باءت جميعها بالفشل و إن كل هذه الحملات الصليبية بعد استرجاع

القدس من قبل المسلمين بقيادة صلاح الدين الأيوبي كان نشلها الذريع إن وضع نهاية مؤكدة أن لا عودة ثانية في هذا المكان الملتهب بالإيمان و روح القران.

## الخاتمة

نحمد الله ونشكره ، أن تم بعون الله وقوته الانتهاء من إكمال هذا البحث الذي ليس مستواه القدر من هذا الوقت الضيق ، فعلي كل حال ليس لنا إلا به نستعين .  
أما بعد ... فإن من البحث في المصادر والمراجع عن الحروب الصليبية يبدو ... كان احتلال القدس سنة 1099 البداية في حركة الإفاقة والتجمع في العالم الإسلامي وبعثهم من جديد بعد الهوان الذي أصابهم نتيجة ضعف الخلافة العباسية قبل مجيء اليويهيين وفي أثناء حكمهم انتعاش الحركات المقدامة من سفوين وغيرهم التي كانت من الأسباب الرئيسية في خراب الدولة الإسلامية في بغداد و الأندلس وفي غيرها ، لذلك كانت قضية احتلال القدس و استعادتها ، و ما قبل الاحتلال من أسباب في سقوطها و ما قبل استعادتها من أسباب جعلت من قضية القدس في السنين التي قاربت أكثر من المائتين سنة صفحة ناصعة للمسلمين أعادت إلى الدين الإسلامي هيئته و الفكر الروحي في طياته ، و للمسلمين في تثبيت إيمانهم ، و للصليبيين إن لا جدوى من قرع الباب التي أنهكتهم بقوة الله.

## فهرس المصادر والمراجع

### أ\_ المصادر العربية

1. ابن النديم، الفهرست. المطبعة الرحمانية بمصر: عبد الرحمن موسى.
2. الدنيوري، ابن قتيبة الدنيوري. المعارف.
3. الشهرستاني، محمد عبد الكريم الشهرستاني. الملك و النحل.

### ب\_ المصادر الاجنبية

1. انطونيوس ، جورج انطونيوس. يقظة العرب. تعريب علي جواد الركابي. مطبعة الشرقي. دمشق: 1365هـ
2. ويست ، انتوني ويست. الحروب الصليبية . ترجمة شكري محمود نديم. بغداد: شركة النبراس للنشر و التوزيع.

### ج\_ المراجع العربية

1. جواد، علي جواد. تأريخ العرب في الإسلام. مطبعة الزعيم. بغداد: 1961
2. حبشي، حسن حبشي. الحروب الصليبية الأولى. ط 1. مطبعة الاعتماد ز شارع حسن الأكبر. مصر: دار الفكر العربي
3. الحميده ، سالم محمد . الحروب الصليبية. ط 1 . بغداد : دار الشؤون الثقافية (افاق عربية) . 1990

٤. عاشور، سعيد عبد الفتاح. الحروب الصليبية . ط 1. القاهرة : مكتبة الانجلو للنشر و التوزيع.

## الهوامش

- (1) أنتوني ، ويست. الحروب الصليبية ترجمة شكري محمد ديزم . المعرب. بغداد. شركة النبراس.
- (2) سعيد عبد الفتاح عاشور. الحركة الصليبية. ط. القاهرة. مكتبة الانجلو المصرية. ص3
- (3) سالم محمد الحميدة. الحروب الصليبية. ط 1. بغداد. دار الشؤون الثقافية العامة (افاق عربية) 1990 ص9.
- (4) جواد علي. تاريخ العرب الإسلام. مطبعة الزعيم. بغداد 1961. ص22
- (5) حسن، حبشي. الحروب الصليبية الأولى. دار الفكر العربي، مطبعة الاعتماد، (القاهرة)، ط 1، ص 17.
- (6) أنتوني ويست. الحروب الصليبية. ترجمة شكري محمود نديم. بغداد. شركة النبراس للنشر و التوزيع 1967. ص34
- (7) حبشي. المصدر السابق، ص 21
- (8) ويست المصدر السابق ص 24، 25
- (9) ويست المصدر السابق ص 19
- (10) ويست، المصدر السابق، ص 31، 32
- (11) المصدر نفسه، ص 17-18
- (12) الدنيوري، المصدر السابق، ص 266
- (13) الشهرستاني، المصدر السابق، ص 119
- (14) ابن النديم. الفهرست. المطبعة الرحمانية بمصر. عبد الرحمن موسى شريف. شارع محمد علي بمصر ص 474.
- (15) الشهرستاني. المصدر السابق ص 177
- (16) ويست. المصدر السابق نفسه. ص 34
- (17) المصدر نفسه، ص 18
- (18) انطونيوس، جورج يقظة العرب، تعريب، ، علي حيدر الركابي، مطبعة الترقى ( دمشق ) ، 1365 ( ص 2
- (19) الحميدة، المصدر السابق نفسه، ص 13
- (20) ويست. المصدر السابق نفسه. ص 34
- (21) ولم يتوقع بطرس ما سمعه ووطد العزم على ان يتحرى الأمر بنفسه ولذا استمر بطريقه إلى القدس و القي القبض عليه و قد عراه الأتراك و أشبعوه ضرباً و أرغموه على العودة و قد اضطر بطرس في طريق عودته إلى القسطنطينية إلى التسول
- (22) المصدر نفسه، ص 93-96
- (23) المصدر نفسه، ص 96-98
- (24) وعلى ما كتبه المؤلف المغربي النصراني المفروض المقارنة بين أعمال الصليبيين الوحشية وحيث أنهم عندما دخلوا القدس حكموا على كل مسلم بقي فيها بالموت فقتلوا سبعين ألف ولم يجدوا المسلمون توسلهم لا ولا التجاؤم المسجد الأقصى وقد أرسلوا إلى البابا يخبروه بأنهم فتحوا القدس وقتلوا فيها عددا لا يحصى من المسلمين رجالا ونساء و شيوخا و أطفال ولم يسلموا منهم حتى الرضيع 0

---

بينما كانت معاملة المسلمين للكتابين وخصوصا عند استعادتهم بيت القدس بقيادة صلاح الدين الأيوبي بعد ثمانية وثمانين سنة<sup>0</sup> كان صلاح الدين عادلا رحوما وقد أبقى على حياة كائيدوا لوزينان ولم يسمح بالأسر للفرسان والنصارى بل قرر إن يذهبوا أحرارا ولم يحرق أي بناية نصرانية<sup>0</sup> (25) ويست، المصدر السابق، ص 127